جامعه الملك سعود
كلية الآداب
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):3620 – 1018
ردمد (النشر الالكتروني): 8339-1658

King Saud University
College of Arts
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة *الآداب*، مج (34)، ع (4)، ص ص 147-164، جامعة الملك سعود، الرياض (2022م/1443هـ)
Journal of Arts, Vol. 34 (4), pp 147-164, © King Saud University, Riyadh (2022 /1443H.)

الاتجاه الأخلاقي في النقد النسائي العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري

محمد بن عبدالله منور آل مبارك
أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، السعودية

(قدم للنشر في 8/ 6/1443هـ، وقبل للنشر في 11/ 9/1443هـ)

الكلمات المفتاحية: النقد النسائي، النقد الأخلاقي، الاتجاه النقدي، النقد العربي.

ملخص البحث: يتناول هذا البحث دراسة النقد النسائي العربي القديم في اتجاهه الأخلاقي، فقد اتخذت المرأة العربية من القيم الأخلاقية أداة لنقد الشعر العربي القديم، مما شكل تياراً نقدياً حكمياً، بات جديراً بالجمع والدراسة والتحليل؛ للوقوف على سماته وخصائصه الفنية، فلم يسبق -فيما يبدو- للدرس النقدي العربي المعاصر أن تناول هذا التيار النقدي الأخلاقي للمرأة العربية في دراسة خاصة به؛ لذلك حاول الباحث في هذا البحث الذي خصصه لدراسة النقد النسائي الأخلاقي للشعر العربي القديم حتى آخر القرن الثاني الهجري أن يجمع من مصادره الأدبية، وأن يعرّف به، ويدرسه، ويحلله تحليلاً يوضح أبرز سماته وخصائصه الفنية.

The moral trend in Arab women's criticism Until the end of the second century AH

Mohammed bin Abdullah Munwer Al Mubarak

Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language and Literature, College of Arts, King Saud University, Saudi Arabia

(Received: 8/ 6/1443 H, Accepted for publication 11/ 9/1443 H)

Keywords: women's criticism, moral criticism, critical direction, Arab criticism.

Abstract. This research deals with the study of ancient Arab women's criticism in its ethical direction. Arab women have employed moral values as a tool for criticizing ancient Arab poetry, which formed a critical and judgmental trend that has become worthy of collection, study and analysis; in order to find out its technical characteristics and features. The contemporary Arabic criticism has rarely dealt with this moral critical current of Arab women in a substantive study. Therefore, in this study, which is devoted to the study of the moral feminine criticism of ancient Arabic poetry until the end of the second century AH, collecting it from its literary sources, defining it, studying it, and analyzing it in a way that determines its most prominent features and artistic characteristics.

موضوع البحث وأهميته

يتناول هذا البحث دراسة النقد النسائي العربي القديم في اتجاهه الأخلاقي؛ لا سيّما مع كون المرأة نفسها مادةً وموضوعًا للشعر العربي، يتناولها الشعراء في قصائدهم، وقد ترضى تارة عن صورتها في ذلك الشعر، وقد لا ترضى حينًا آخر عن تلك الصورة، فكان للمرأة وجهات نظر تجاه ما يقوله الشعراء من شعر في مختلف الأغراض الشعرية، أو شعر يصور فيه الشاعر علاقة الرجل بالمرأة وعلاقة المرأة بالرجل خصوصا، وكانت غالبًا ما تواجه ذلك الشعر الواصف لعلاقتها بالرجل بخاصة وبالحياة بعامة بآرائها النقدية التي تحاول من خلالها تصحيح تلك الصورة، أو تعزيزها، أو إظهار ما فيها من جمال ترغب في ترسيخه، أو قبح ترغب في نفيه عنها، أو تعديله، وكان لطبيعتها الأنثوية وعادات المجتمع وتقاليده أثرهما في توجيه ذلك النقد نحو الجوانب الأخلاقية، ومن هنا تأتي أهمية البحث في هذا الموضوع من النقد العربي، الذي أنتجته المرأة وحاولت توجيهه نحو الوجهة التصويرية والقيمية التي تراها وترتضيها.

أهداف البحث وأسباب اختياره

يهدف البحث إلى تحقيق غايات ومطالب نقديّة نسائيّة يتوخّى إبرازها ودراستها دراسة فنيّة ومضمونيّة؛ لأجل إظهار مجهودات المرأة العربيّة، وإبرازها في نقدنا العربي القديم في جوانبه الأخلاقيّة التي لها أثرها في قيمنا التي توجّه سلوكنا في المجتمع، كانت المرأة قد شاركت في إرسائها من خلال هذه المجهودات النقديّة، وبثّها في مناحي حياة المجتمع العربيّ من خلال البحث عنها في شعرنا العربيّ القديم، وإبرازها وغرسها في قيم المجتمع، والارتفاع بذوق الشعريّة العربيّة وشعرائها نحو تلك القيم الأخلاقيّة، والتعبير عنها في إبداعاتهم الشعريّة من أجل نشرها والتأثير بها في المجتمع العربيّ والحياة العربيّة، وكان من أسباب اختيار هذا البحث قلّة الدراسات الأدبيّة التي تناولت مجهودات المرأة العربيّة النقديّة بعامّة والاتجاه القيميّ الأخلاقيّ من نقدها بخاصّة، ورغبة الباحث في الكشف عن مجهودات المرأة في هذا المنحنى من نقدنا العربيّ وإبرازه ودراسته دراسة فنيّة ومضمونيّة، تظهر آثاره في تطوير الشعريّة العربيّة، وفي سمات المنجز النقديّ النسائيّ العربيّ وخصائصه الفنيّة.

مدوّنة البحث

تتوافر مصادر الأدب العربيّ القديم ومراجعه على مادة نقديّة غزيرة ومتنوّعة للمرأة العربيّة، تناولت فيها المرأة الناقدة الشعر العربيّ، وما يحمله ذلك الشعر من قيم فنيّة ومضمونيّة، حاول الشعراء بثّها في حياة المجتمع العربيّ وترسيخها في مناحي حيواتهم، مستعينين على ذلك بمهاراتهم الإبداعيّة، كما أن تلك المادة النقديّة تتوافر على مجموعة من المقولات النقديّة ذات المنحى القيميّ الأخلاقيّ تمثل قسمًا مهمًّا من المكوّن النقديّ العربيّ القديم الذي أبدعته المرأة العربيّة من خلال ذوقها النقديّ ورؤاها في الحياة.

وهذه المدونة النقديّة تحتاج إلى الكشف عنها، وتجليتها، ودراستها في جوانبها القيميّة والأخلاقيّة التي تطرحها المرأة من خلال نقدها، ومحاولة التعرّف على سمات ذلك النقد وخصائصه الفنيّة والمضمونيّة، ومن أبرز تلك المدوّنات النقديّة القديمة التي حوت نقد المرأة في اتجاهه القيميّ الأخلاقيّ: الموشّح للمرزبانيّ، وزهر الآداب وثمر الألباب للقيروانيّ الحصريّ، ووفيات الأعيان لابن خلّكان، والأغاني لأبي الفرج الأصبهانيّ، ومصارع العشّاق للقارئ، والمجموع اللفيف للأفطس، والشعر والشعراء لابن قتيبة، والأمالي والنوادر للقالي، وأخبار الظرفاء والمتماجنين لابن الجوزيّ، وغيرها من المصادر التي حوت مقولات المرأة النقديّة.

الأسئلة التي يطرحها البحث

يحاول البحث الإجابة عن عدد من الأسئلة المعرفيّة التي تطرحها مقتضيات البحث ومنها:

١- هل تتوافر مصادر الأدب العربيّ ومراجعه على مادة نقديّة ذات قيمة فنيّة للمرأة العربيّة؟
٢- ما نصيب القيم الخُلقيّة من تلك المادة النقديّة النسائيّة في مصادرها العربيّة القديمة؟
٣- كيف شكّلت المرأة مقولاتها النقديّة الأخلاقيّة للشعر العربيّ القديم؟
٤- ما أبرز القيم الأخلاقيّة التي حاولت الناقدة العربية تثبيتها وترسيخها من خلال مجهوداتها النقديّة الأدبيّة؟
٦- ما أثر المجتمع العربيّ وعاداته وتقاليده في بروز مثل ذلك الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ في النقد النسائيّ العربيّ للشعر في أدبنا العربيّ القديم؟

مشكلة البحث وفرضيّته

تظهر مشكلة البحث في تمحور الدراسات النقديّة للدارسين العرب حول مجهودات النقاد العرب الرجال والانشغال بها دون التعرض للناقدات العربيّات، وخصوصًا في تاريخ نقدنا العربيّ القديم، وتتجلّى هذه المشكلة في تلك الدراسة القديرة التي قام بها الدكتور محمد المريسيّ الحارثيّ عن الاتجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ (الحارثيّ، 1989)، وقصر حديثه على نقد الرجال دون النساء، ولم يذكر على مدى الكتاب سوى موقف نقديّ واحد للناقدة سُكينة بنت الحسين في إشارة بعيدة دون الوقوف عندها ودراستها أو تحليلها على الرغم من توافر المدونات العربيّة النقديّة القديمة على عدد لا بأس به من مقولات الناقدات العربيّات للشعر، وعلى عدد من المقولات النقديّة النسائيّة في الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ، فإنَّ خلوَّ مثل هذا المؤلَّف القدير من نقد المرأة في هذا الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ ليعد مشكلة علميّة توحي بفقر المرأة النقديّ في هذا الاتّجاه، وهذه مشكلة تدعو الحاجة إلى التصدّي لها بالكشف عن ما يجلّيها ويطرح الدراسة العلميّة والمعرفيّة لها؛ ولذلك فإنَّ هذا البحث يفترض أن هناك منجَزًا نقديًّا نسائيًّا يجسّد هذا الاتّجاه النقديَّ الأخلاقيّ، ويجسّد سماته وخصائصه الفنيّة، وهو بحاجة لتجليته ودراسته دراسة فنيّة ومضمونيّة، توضح مقداره، وقيمته

الفنية، وإبراز سماته، وخصائصه بين اتجاهات النقد العربيّ بعامّة، واتجاهات النقد النسائيّ العربيّ منه بخاصّة.

الدراسات السابقة

لقد تبيّن من خلال هذا البحث قلّة الدراسات التي تصدّت للنقد النسائيّ العربيّ بعامّة، والاتّجاه الأخلاقيّ من ذلك النقد النسائيّ بخاصّة، وأنّ هناك مجهودات نقديّة نسائيّة ذات أبعاد قيميّة وأخلاقيّة تتوافر عليها مدوّنات الأدب العربيّ القديمة لكنها مع ذلك لم تلقَ من الاهتمام ما يتناولها، ويدرسها، ويبرزها، ويجلّيها؛ لتكون في متناول الدارس والقارئ للنقد العربيّ، ومما يزيد الاهتمام بمثل هذه الدراسة أن هناك دراسة علميّة قيّمة تصدّت للاتّجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ القديم (السابق نفسه) لكنّها قصرت حديثها على مجهودات النقاد الرجال من هذا الاتّجاه دون مجهودات النساء النقديّة، وهذا يوحي بأن لا نقد نسائيّ في هذا الاتّجاه من نقدنا العربيّ، أو إن كان هناك من نقد فهو لا يرقى إلى مستوى الاهتمام به، ودراسته، وإبرازه، لكن المطّلع على المدوّنات النقديّة العربيّة التي توجّهت إليها في هذا البحث سوف يدرك مقدار ما تحويه تلك المدوّنات من مجهودات نقديّة نسائيّة ذات قيمة علميّة، وتتوافر على جانب مهم من النقد النسائيّ في اتجاهه الأخلاقيّ، الذي هو محطّ نظر وعناية هذا البحث، ولم يسبق الكشف عنه وإبرازه ودراسته.

إن هناك عددًا من المقالات والأبحاث العلميّة تناولت جوانب من النقد النسائيّ العربيّ في اتّجاهات متعدّدة ليس منها ما خُصّص لدراسة الاتّجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ، ومن تلك الدراسات:

١- جهود المرأة العربيّة في النقد الأدبيّ القديم، فاطمة الصغير، مجلة المخبر، العدد (11) ص383، جامعة بسكرة بالجزائر. وهو بحث يتناول عموم نقد المرأة العربيّة وليس مخصّصًا لنقد المرأة في اتّجاهه الأخلاقيّ الذي سوف يعنى به هذا البحث ويدرسه ويتعمّق فيه من جميع جوانبه الفنيّة والمضمونيّة.

٢- المرأة الناقدة في الأدب العربيّ، محمد أحمد المجالي، مجلّة جامعة أمّ القرى، المجلّد الخاصّ، العدد (20). وهو بحث يتناول أيضًا عموم نقد المرأة عبر العصور الأدبيّة القديمة والحديثة، وهو يقلّل من وجود نقد للمرأة في مراحل ما قبل منتصف القرن العشرين؛ ولذلك ركّز اهتمامه على نقد المرأة في العصر الحديث. أمّا بحثي هذا فسوف يتناول قضيةً واحدةً من قضايا نقد المرأة العربيّة القديم، وهي نقدها القديم في اتّجاهه الأخلاقيّ، ويتعمّقها دون سواها من اتّجاهات المرأة النقديّة القديمة أو الحديثة.

٣- المرأة ونقد الشعر في بدايات النقد العربيّ القديم قراءة لنصوص النقد المنسوبة إلى سُكينة بنت الحسين، للباحثة سعاد المانع، طبعة نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ، وهو بحث يتناول مجهودات ناقدة واحدة من الناقدات العربيّات، هي سُكينة بنت الحسين دون سواها من الناقدات العربيّات، ويتناول عموم أعمالها بشكل عام دون تعمّق في جانب محدّد من جوانب نقدها كما هي دراستي هذه، التي ستركّز اهتمامها على دراسة الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ عند عموم الناقدات العربيّات؛ للوقوف على سمات وخصائص هذا الاتّجاه النقديّ النسائيّ دون سواه من الاتّجاهات النقديّة الأخرى التي طرقتها الناقدة سُكينة.

4 - الاتّجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ حتى نهاية القرن السابع الهجريّ، محمد المريسيّ الحارثيّ، مطبوعات نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ (1409 - 1989). وبعد الاطّلاع على هذا الكتاب وجدته يكاد يخلو من نقد المرأة سوى مثال واحد، ذكره للناقدة سُكينة بنت الحسين، واقتصر في تناوله ودراسته للنقد الأخلاقيّ على مجهودات النقّاد من الرجال دون النساء؛ لذلك وجدت أن نقد المرأة في اتّجاهه الأخلاقيّ لمّا يزل بحاجة إلى دراسة تجلّيه وتدرس سماته وخصائصه الفنيّة والمضمونيّة، وتبرز مكانته من النقد العربيّ بعامّة ونقد المرأة بخاصّة.

إنّ هذه الدراسات السابقة لها فضل في التنبيه إلى حاجة الجانب الأخلاقيّ من النقد النسائيّ العربيّ للدراسة؛ للوقوف على سماته، وخصائصه، ومكانته من مجهودات المرأة العربيّة النقديّة، ولذلك توجّهت في بحثي هذا للعناية بهذا الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ من نقد المرأة العربيّة لسدّ الثغرة التي تحتاج إلى سدّها من مشروع نقد المرأة العربيّة القديم.

منهج البحث

إنَّ هذا البحث يُعنى بدراسة نقد المرأة للشعر العربيّ القديم في اتّجاهه النقديّ الأخلاقيّ؛ لذلك سوف أعتمد في دراسته على المنهج الاستقرائيّ الذي يحاول أن يصل إلى ما يستطيع الوصول إليه من مقولات المرأة النقديّة في القرون الثلاثة الأولى من عمر النقد العربيّ حتى آخر القرن الثانيّ الهجريّ وتتبُّع تلك المقولات في مظانّها من كتب الأدب العربيّ القديمة، ودراستها، وتحليلها، معتمدًا على المنهج الوصفيّ التحليليّ لاستخراج سمات ذلك الاتّجاه النقديّ وخصائصه الفنيّة.

التمهيد: عن الشعر والأخلاق

لا نكاد ننكر أن الخطاب النقديّ القديم قد منح الشاعر الحريّة في القول الشعريّ، وأنّ تلك الحريّة قد حاولت أن تزيل من أمام الشاعر السدود والعقبات التي قد تحدُّ من فحولته الشعريّة وإبداعه الفنيّ، وتبسط الطريق أمامه من أجل الوصول بشعره إلى غايته من التأثير في النفوس، وعلى الرغم من تحاشي الشعراء بعض المضامين التي كانوا يطرقونها في الجاهليّة بعد استقرار الإسلام في قلوبهم؛ لأنّ الإسلام كان قد نهى عن كثير من المضامين التي لها علاقة بفحش القول، فإنّ الحال من الحريّة التي كان ينشدها الشاعر قبل ذلك عادت لدى الشعراء ونقّاد الشعر في العصور التي تلت ما بعد نزول الإسلام واستقراره في النفوس.

ولقد تجاوز النقّاد للشاعر ما لا يتجاوزونه لسواه من الأدباء باعتبار أن عالمه "الخيال" وسرّ صنعته "المبالغة" للوصول بالقول إلى غايته من التأثير، فرأينا الأصمعيّ يطلق مقولته المشهورة في شعر حسّان بن ثابت -رضي الله عنه- بأنّ موضوعات الصلاح والتقوى التي طرقها حسّان في شعره بعد الإسلام قد آلانت من شعره، وردّ ذلك إلى طريق الشعر الذي إذا أدخلته في باب الخير لان (المرزبانيّ، 1995، ص78)، وفي رواية أنّه قال: "الشعر نكد بابه الشرّ فإذا أدخل في الخير ضعف" (ابن قتيبة، 1958م، ج1 ص305).

أما الناقد القاضي عليّ بن عبد العزيز الجرجانيّ فقد قضى بما يفيد ببعد الأخلاق عن الشعر، وبأنّ فساد مضامين الشعر لا تُنقص من الحكم لقائلها بالجودة إن كان مجوّدا، وأنَّ الدين -الذي هو جماع الأخلاق- بمعزلٍ عن شعريّة الشعر جودةً ورداءة (الجرجانيّ، د.ت، ص63-64)، وعزل ابن أبي عتيق ناقد الحجاز في القرن الأوّل الهجريّ الدين عن الشعر باستحسانه شعر عمر بن أبي ربيعة، وقدّمه على معاصريه على الرغم من قوله فيه: "ما عُصي الله جلّ وعزّ بشعر أكثر ممّا عُصي بشعر ابن أبي ربيعة (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص108-109؛ وانظر: إسماعيل، 1974م)، ولم يتحرّج أبو هلال العسكريّ من القول بأنّ: أكثر الشعر بُني على الكذب... والألفاظ الكاذبة، كما حكم بقوّة الشعر الجاهليّ وفحولته على ما فيه - كما يقول- من قذف للمحصنات وشهادة الزور والبهتان (العسكريّ، 1952، ص ص136-137).

وقد تغاضى النقّاد العرب عن مبالغات الشعراء، وكذبهم في شعرهم، وتجاوزهم لقيود الأخلاق، وجعلوا من فضائل الشعر الكذب الذي اجتمع الناس على قبحه، وقطعوا بأن الكذب يحسّن من الشعر، وقال ابن رشيق عن الشعر في عمدته: وحسبك ما حسن واغتفر له قبحه (القيروانيّ، 1983، ج1 ص17)، وعدَّ الفلاسفة أن مهمَّة الشاعر تحسين الكلام وتجويده ولو كذب في شعره، فقد قيل لبعضهم: فلان يكذب في شعره فقال: يراد من الشاعر حسن الكلام، والصدق يراد من الأنبياء (العسكريّ، 1952م، ص137).

واستجاد ابن طباطبا أبياتًا في وصف الشعراء للخمر وقال فيها بأنها "من أبدع ما قيل في هذا وأحسنه" (ابن طباطبا، 1985م، ص126)، دون الوقوف عند خروجها على الدين والأخلاق، أو النظر في مدى موافقتها لمعاني الأخلاق والحلال والحرام.

ونادى قدامة بن جعفر بحريّة الشاعر في القول فيما يريد من المعاني، وأن المعاني معرّضة له، يتكلّم فيها فيما أحب وآثر من غير أن يُحظر عليه معنى يروم الكلام فيه، وأن الغاية من الشاعر التجويد إذا شرع في أيّ معنى –كان- من المعاني الحميدة أو الذميمة، ونفى أن يكون فحاشة المعنى في نفسه مما يزيل جودة الشعريّة (ابن جعفر، د. ت، ص ص65-66؛ وانظر: العزب 1984، ج2، ص ص126-127).

هكذا نرى أن الخطاب النقديّ القديم لم يربط جمال الشعر وجودته بمدى التزامه بأخلاق القوم ودينهم، ولم يربط قبيح الشعر بمقدار فساد مضامينه ومخالفته للدين، لكن تيّارًا نقديًّا تشكّل بعد الإسلام خصوصًا وتطوّر في مطالبة الشاعر الالتزام بالقيم الخلقيّة وعدم مخالفته في مضامينه لمبادئ الدين وتعاليمه.

وقد بدأ هذا التيار يتشكّل في مقولات الرسول ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم في الشعر والشعراء، حيث قرَّر ﷺ أن الشعر كلام مؤلَّف فما وافق الحق منه فهو حسن، وما لم يوافق الحقّ منه فلا خير فيه (الحصريّ، ج1 ص20).

وأنكر ﷺ على النابغة الجعديّ مبالغته في الشعر، وأُعجب بشعره ﷺ حين وافق الدين والأخلاق، وحكم له فيه بالتجويد، وكان النابغة قد أشاد في شعرٍ له بالقيم الأخلاقيّة المطلوب التحلّي بها، والبعد عن خصال الشر (الأصبهانيّ، د.ت، ج5 ص8)، وسارت عائشة -رضي الله عنها- على هذا الاتّجاه الأخلاقيّ في التعامل مع الشعراء فقالت: الشعر فيه كلام حسن وقبيح، فخذ الحسن واترك القبيح (القيروانيّ، العمدة، ج1 ص20)، "وحثَّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- عمّاله على أن يعلّموا الناس الشعر: "فإنّه يدلّ على معالي الأخلاق وصواب الرأي" (القيروانيّ، العمدة، ج1 ص21)، وتطوّر هذا التيّار النقديّ في صدر الإسلام والعصر الأمويّ، حتى إنَّ بعض العلماء كانوا يزنون الشعر بميزان الدين والأخلاق -كما يقول أحمد أمين- فيسمّون بعض الشعراء بشعراء المؤمنين وآخرين بشعراء الكافرين (أمين، 2012، ص371)، ونرى القرطبيّ في الجامع لأحكام القرآن يحثّ على إنشاد ما فيه المعاني الحسنة من الشعر، وذكر الله، والحمد له، والثناء عليه، وتجنّب الأشعار التي تزيّن الباطل، وتبهت البريء، رغبة في التسلية للنفس، وجعلها من المذمومة (انظر: القرطبي، د. ت، ج3 ص ص145-149).

المرأة والشعر والأخلاق

ومهما يكن من أمر اختلاف النقّاد حول الشعر والشعراء، فإن المرأة العربيّة الناقدة في تعاملها مع الشعر والشعراء، ونقدها للشعر، قد صدرت عن مختلف الاتّجاهات النقديّة التي دارت حول الشعر، وعبّرت عنها في مقولاتها النقديّة، كما هو حال النقّاد الرجال مع الشعر، ومواقفهم المختلفة من مضامينه، ولكنّ المرأة كانت أكثر تأثّرًا بجنسها (الجندريّ) الأنثويّ الأقرب إلى الالتزام بالعادات والتقاليد المجتمعيّة، وما يسودها من قيم وأخلاقيات، وخصوصًا في علاقتها بالرجل.

ثم جاء الإسلام فزادها قربًا من المحافظة على تلك القيم والأخلاقيّات بجانب مراعاتها للاتّجاهات النقديّة الأخرى، التي تصدر عن ذوق نقديّ، يرقى إلى مكانة الشعر والشعراء في تلك العصور، ولقد رأينا الشعراء يعطون أهميّة لرأي المرأة الناقدة فيما يقولونه من شعر، حتى إنّهم يقصدونها محكّمين لها في أشعارهم، راضين بما تصدره من أحكام نقديّة في شعرهم في أغلب الأحيان (انظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص356-360، ج21 ص ص366- 367. وانظر: المرزبانيّ،1995م، ص193، 200، 201).

ومع ذلك فقد كانت المرأة في نقدها تصدر في كثير من مواقفها النقديّة عن القيم الخلقيّة، التي سادت ذلك

المجتمع العربيّ الذي نشأت فيه، وفي ظلّ عاداته وتقاليده العربيّة، التي كانت تحرص على صون المرأة قبل الإسلام، ثم في ظلّ القيم والتقاليد التي جاء بها الإسلام ورسّخها في المجتمع بتعاليمه الدينيّة وقوانينه الحياتيّة الجديدة، فنشأ تيّار نقديّ أخلاقيّ في مقولات نقّاد صدر الإسلام بعامّة وفي مقولات المرأة النقديّة منهم بخاصّة، وقد ظلّ هذا التيّار النقديّ الدينيّ الأخلاقيّ من آكد اتّجاهات المرأة النقديّة وأبرزها على الرغم من أنّه قد تغيّر في العصر الأمويّ، وكانت غالبًا ما توجّه به الشعر والشعراء في نقدها، وشكّل تيارًا نقديًّا نسائيًّا ينطلق من القيم الأخلاقيّة التي رسخت في أعماق المرأة العربيّة الناقدة، وكوّن شخصيتها العربية الإسلاميّة، التي أبدعت تلك المقولات النقديّة النسائيّة الأخلاقيّة.

ولمّا كان شعر الغزل يصف علاقة الرجل بالمرأة، فقد اهتمت المرأة العربيّة الناقدة بهذا الفن الشعريّ الذي يمسّ حياتها، ويصف جوانب منها توضح علاقتها بالرجل؛ لذلك وجّهت جانبًا من نقدها –وهو جلّه- اتجاه ذلك الشعر الواصف لتلك العلاقة.

ولقد واجهت المرأة صعوبة في محاكمتها لشعر الرجل فيها، فمقاييس التجويد في الشعر كما رأيناها عند كبار النقّاد لا تخضع لقيم الدين والأخلاق (الجرجانيّ، د.ت، ص64)، ولشعر الغزل -كما يقول إحسان عباس- مقاييسه الخاصّة به بعيدًا عن القيم الأخلاقيّة (عباس، 2000م، ج3 ص120)، فلا يدخلون الدين وما يقتضيه من أخلاق فيما يقوله الشعراء من شعر، ولذلك أنكر ابن أبي عتيق على كثيّر عزّة قوله عن محبوبته (الخزاعيّ، 1391ه، ص172):

فأخلفَ ميعادي وخَنَّ أمانتي وليس لمن خانَ الأمانة

فقال له ابن أبي عتيق منكرًا عليه أن أدخل الدين والأخلاق في الغزل: "يا بن أبي جمعة، وعلى الديانة تبعتها" (المرزبانيّ، 1995، ص 183).

فهو هنا ينقده نقدًا يدعوه فيه إلى أن يبعد شعره، وبخاصّة شعر الغزل منه عن الدين والأخلاق، وكأنّه يقول له: لا تحمّل الدين الذي هو جماع الخلق الفاضل مهمّة البحث عن الجمال التعبيريّ في الغزل، وارتضى ابن أبي عتيق من كثيّر قوله (الخزاعيّ، 1391ه، ص173):

كذبن صفاء الودّ يوم وأدركني من عهدهنّ شنكة

فقال له: "يا بن أبي جمعة فذلك والله أصلح لهنّ وأدعى للقلوب إليهنّ" (المرزبانيّ، 1995م، ص183-184)؛ لأنّ فيه اتّباع النساء لما تقتضيه الأخلاق القمينة بالمرأة، من عدم الانجرار والتمادي من قبلها لإغراءات الغزل، وهي المشهورة بخلق الإباء والتمنّع.

وقد اشتهر كثيّر بشيء من الأخلاق في شعره الذي كان يتغزّل به في عزّة؛ ولذلك ذهب إحسان عباس إلى أن غزل كثيّر كان غزلًا أخلاقيًا؛ لأنّ نظراته ومواقفه ينتظمها - كما يقول - مقياس أخلاقيّ لا يحبّ أن يختلّ، فهو يجعل من الحبيبة رمزًا أخلاقيًا، ومن الحبّ علاقة أخلاقيّة، ويخضع نزعات النفس للعرف الأخلاقيّ (الخزاعيّ، 2012م، ص66).

اتّجاهات النقد النسائيّ الأخلاقيّ

ولمّا كان غزل كثيّر عزة غزلًا أخلاقيًا، جاء نقد الناقدات له نقدًا أخلاقيًّا أيضا، فلطالما تعرَّض كثيّر للتقليل من شأنه في الغزل، ووصفه للمرأة في شعره، من الناقدات أمثال سُكينة بنت الحسين، وعقيلة بنت عقيل بن أبي طالب، وعائشة بنت طلحة، وهنّ ممن اشتهرن بنقد الشعر، ومثّلن بنقدهنّ جانبًا مهمًّا من الخطاب النقديّ النسائيّ القديم، وإذا كانت المرأة قد اشتهرت في الحياة العربيّة الاجتماعيّة بالحياء، والتمنّع في حضرة الرجل وفي علاقتها به، وكذلك في حبّها وتعبيرها عن ذلك الحبّ، فإنّها في نقدها للشعر - الذي عبّر عن تلك العلاقة - قد حاولت في اتّجاه من اتّجاهاتها النقديّة أن تردّ الشعر الذي يمارس فيه الشعراء شيئًا من التجاوزات إلى القيم الخُلقيّة، فحاكمت الناقدات العربيّات الشعر بناءً على قربه أو بعده عن الأخلاق التي رسّختها العادات والتقاليد العربيّة والتعاليم الدينيّة الإسلاميّة، وقد ساعدت المرأة بنقدها منذ بدايات النقد العربيّ في بروز هذا التيار النقديّ الأخلاقيّ، وفي تشكّله وحضوره، وخصوصًا في نقدها لشعر الرجل الواصف لها، والذي كانت هي مادّته، فإذا كان ممّا هو مقرر في المجتمع العربيّ أن المرأة العربيّة تتّسم بالحياء والتمنّع في حضرة الرجل في علاقتها به، وفي حبّها وتعبيرها عن هذا الحبّ فإن خطابها النقديّ القديم اتّسم في إحدى اتّجاهاته بالأبعاد القيميّة الأخلاقيّة، فحين أنكرت على الشعراء الذين كانوا يصفون المرأة وصفًا يخالف هذه السمة الخُلقية التي اتّسمت بها المرأة في مجتمعها، ورأينا بثينة صاحبة جميل تنكر على عمر بن أبي ربيعة وصفه النساء بأنّهنّ كنّ يسعين إليه للتشبيب بهنّ والتغزّل فيهنّ، فأنكرت عليه إخلاله بمقاييس الطبيعة والأعراف الاجتماعيّة العربية والتعاليم الدينيّة الإسلاميّة حين جعل النساء يخرجن عن أخلاقهنّ المعروفة عنهنّ من إباء وتمنّع وإظهار الدلال بحضرة الرجل إلى السعي وراءه والظفر به وطلب ودّه، والفوز باهتماماته اتجاههنّ، وهي تشير إلى قوله على لسان بعض معشوقاته (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 181، وانظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص90، 91، 92، 103، 104):

تَصَابَى القلبُ وادَّكَرا صِبَاهُ ولم يكن ظَهرا
لزينبَ إذ تُجِدُّ لنا صفاءً لم يكن كَدِرا
أليستْ بالتي قالتْ لمولاةٍ لها ظهرا
أشِيري بالسَّلامِ له إذا هُوَ نحوَنا نظرا

وإلى قوله: (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 160-161، وانظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص90، 91، 92، 103، 104):

أبصرتُها ليلةَ ونِسْوَتَها يَمْشين بين المَقَامِ والحَجَرِ
قالت لتربٍ لها ملاطفة لنُفْسِدَنّ الطَوَافَ في عُمر
قالت تَصَدَّيْ له ليبصرنا ثم اغمِزيه يا أخت في خَفَر
قالت لها قد غمزتهُ فأبى ثُمّ اسْبَطَرَّتْ تسعَى على أثَر

ونقدت قوله هذا بقولها له "والله يا عمر لا أكون من نسائك اللاتي يزعمن أن قد قتلهنّ الوجد بك" (الأصبهانيّ، د.ت، ج8 ص144)، فذكّرها عمر بقول لصاحبها جميل يذكر تطلّع بعض النسوة نحوه (الأصبهانيّ، د.ت، ج8 ص ص144، 145):

وهما قالتا لو ان جميلًا عرضَ اليومَ نظرةً فرآنا

بينما ذاك منهما وإذا بي أعمل النّصّ سيرة زفيانا

نظرت نحو تربها ثم قالت قد أتانا - وما علمنا - مكانا

فردّت عليه بثينة ناقدةً قولَ جميل هذا بقولها: "إنه استملّ منك فما أفلح وقد قيل: اربط الحمار مع الفرس، فإن لم يتعلّم من جريه تعلّم من خلقه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج8 ص ص144، 145).

فنرى بثينة تنقد كلًّا من عمر بن أبي ربيعة وجميل بن معمر نقدًا أخلاقيًّا تنعي فيه عليهما مخالفتهما في شعرهما أخلاق المرأة التي عرفت بها في علاقتها بالرجل القائمة على الحياء والحشمة والإباء والتمنّع والدلال اتّجاه الذكر، وترى في شعرهما خروجًا بالأنثى عن الأخلاقيّات التي عرفت بها في المجتمع، وطبيعة العلاقة المعهودة بها في علاقتها بالرجل، وتنعي على جميل تأثّره في تلك الصورة للمرأة في علاقتها بالرجل بعمر بن أبي ربيعة.

ويعد عمر بن أبي ربيعة من أكثر الشعراء الذين تعرّض شعرهم لنقد المرأة العربيّة الأخلاقيّ؛ وذلك لجرأته على الفحش بالمرأة في غزله، ووصفها وصفًا حسيًّا في غزله، والخروج بها عن طبيعة أخلاق الأنثى، فقد نقدته فاطمة بنت عبد الملك بن مروان في قوله (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 91 – 92):

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ لأنَيْهِنّ الحيَّ إن لم تَخْرُج

فْخرجْتُ خَوْفَ يمينِها فتبسَّمَتْ فعلِمتُ أن يمينَها لم تَحْرَجِ

فتناولتْ رأسي لِتعرِفَ بَمُخَضَّبِ الأطراف غيرِ

فَسَّلْتُهُ فاها آخِذًا بقَرونِها شُرْبَ النّزيف ببَرْد ماء الحَشْرَجِ

وفي قوله (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 116):

ونَاهِدَةِ الثّدْيَيْنِ قلتُ لها اتّكِي على الرملِ من جَبّانةٍ لم تَوَسَّدِ

فقالتْ على اسمِ اللهِ أمرُك وإن كنتُ قد كُلِّفتُ ما لم أعَوَّدِ

طاعةٌ فلمّا دنا الإصباحُ قالت فَقُم غيرَ مطرودٍ وإن شئتَ فازدَدِ

فنقدته بقولها: "إنه فاضح الحرائر"، وكان قد لقيها في منى وهي حاجّة، وناشدته الله والرحم بأن لا يصحبها ولا يفضحها، وأخرجته من مجلسها، وهدّدته بأنّ الخليفة ووالية الحجّاج قد أهدرا دمه إن تعرّض لها أثناء حجّها (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص 190-195).

ونقدت عمر كذلك امرأة بمقولة "الفاضح" هذه، وكانت قد حذّرت هذه المرأة امرأة أخرى معها تسمى النوار، كان عمر يتتبّعها من مزدلفة حتى منى؛ ليظفر برؤيتها ومحادثتها فقالت لها: "يا نوار استتري لا يفضحك عمر بن أبي ربيعة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص158-159).

وهذا يوضح لنا كيف أنَّ شعر عمر بن أبي ربيعة _من خلال محاكمة المرأة العربيّة الناقدة له_ قد سكَّ ونحت بعض المقولات النقديّة ذات الدلالات الأخلاقيّة عندما وصفت الناقدات شعره بـ "فاضح الحرائر" إنها مقولة نقديّة نسائيّة تشي بحكم نقديّ تميّزت به الناقدة العربيّة في خطابها النقديّ الأخلاقيّ.

ووصفت جارية شعر عمر بالفسوق حين نعتت عمر في شعره بـ"الفاسق" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص205)، ومن معاني الفسوق الخروج وكأنّها تقصد أن شعر عمر فيه خروج عن الأخلاق الفاضلة، فقد لمحت الناقدة الجوانب الأخلاقيّة في شعر عمر وتجاوزه لها وخروجه عليها.

ووصفت عجوز كان عمر قد تغزّل بها في شبابها سيرة عمر الشعريّة وسلوكه في شعره "بالمجون والسفه لما فيه من مخالفات للأخلاق مع كبر سنّه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص171).

وكانت عائشة بنت طلحة قد نعتت عمر كذلك في شعره "بالفسوق" وكان قد وصفها وهي سافرة وجهها ترمي الحجارة في منى، فقال فيها (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص64):

فلَقِيتُها تَمْشِي بها بغلاتها ترمِي الجِمَار عَشِيَّةَ في

غَرَّاءَ يُغْشِي الناظرين خَوْرَاءَ في غُلَوَاءِ عيشٍ

فَقُلْتُ له ناقدة مقولته الشعريّة هذه "أما والله لقد كنت مُعْجِبٍ

لهذا منك كارهة يا فاسق" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص199-201)، لأن عمر في شعره هذا الذي يصفها فيه وهي في مكان وزمان مقدّسين قد تجاوز في تقديرها لتلك القدسيّة وجرح حرمتي المكان (مناسك الحج) والزمان (أيّام الحج)، وفي ذلك ما فيه من خروج على مقتضيات الدين من الأخلاق، وهتك للحرمات، والتشهير بمفاتن ترى الناقدة وجوب سترها حياءً ودينا، فقد لحظت الناقدة في مقولتها النقديّة الجوانب الأخلاقيّة والدينيّة، وللمنحى النقديّ السابق نفسه وصفت الناقدة عائشة بنت طلحة كذلك عمر في شعره بقَوْل الهجر، وتجاوز ما ينبغي التحلّي به من الأخلاق في شعره من تقوى الله، والأخذ بمحاسن الأخلاق، عندما قالت له ناقدة ما عهدته في شعره من محاذير دينيّة وأخلاقيّة، ومحذّرة له من أن يقول فيها شعرًا -وكان قد بصر بها وهي تطوف بالكعبة كاشفة من محاسنها ما ينبغي كشفه للمحرم "اتق الله -يا عمر- ولا تقل هجرا، فإنَّ هذا المقام لا بدّ فيه ممّا رأيت" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص200-201).

أما الناقدة كلثم بنت سعد المخزوميّة فقد عبّرت عن رفضها لشعر عمر بن أبي ربيعة لما فيه من مخالفات أخلاقيّة بضربها جارية لها، وزجرها، وحلقها لشعرها، وكان عمر قد أرسلها إليها يستعطفها، وينشد حبّها ومودّتها، وكان قد قال فيها (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 351-352):

من عاشقٍ صَبٍّ يُسِرُّ قد شَفّه الوجدُ إلى كَلْثَمِ

رأتْكِ عَيْنِي فدعاني الهوى إليكِ للحين ولم أعْلَمِ

قَتَلتِنا يا حبَّذا أنتُم في غيرِ ما جُرْمٍ ولا مَأثَمِ
وأنتِ ثأرِي فَتَلافَي دَمِي ثم اجعلِيه نعمةً تُنْعِمِي
وحَكِّمِي عَدْلًا يكُنْ بينَنا أو أنتِ فيما بينَنا فاحْكُمِي
وجالِسِينِي مَجْلِسًا واحدًا من غيرِ ما عارٍ ولا مَأثَمِ

ونقدته بقولها واصفةً شعرَه هذا فيها "بأنه خدّاع ملق، وليس لما شكاه أصل" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص204-205)، بمعنى أنّه في شعره يتّصف بالخداع والكذب وتجاوز الحق والعدل إلى الظلم، إنّه نقد لتجاوز الشاعر القيم الأخلاقيّة في شعره، فقد حطّت من شعره لمخالفته الحقيقة، والصدق، وما ينشده أيّ شاعر في شعره من قيم الخير والحق والعدل والجمال.

كما وصفت الناقدة نفسها شعرًا لعمر كذلك قاله فيها "بالفسوق والفاضح" (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 77، والأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص106-107) حيث يقول فيها:

هلاّ اسْتَحيْتِ فتَرْحَمِي صَدْيَانَ لم تَدَعي له قَلْبَا
جَشِمَ الزيارةَ في مودّتكم وأراد ألاّ تُرْهَقِي ذَنْبَا
ورَجَا مُصَالَحَةَ فكان لكم سَلَمًا وكنتِ تَرَيْنَه حَرْبَا
يا أيها المُعْطِي مودّتَه مَنْ لا يَرَاك مُسامِيًا خطبَا
لا تَجْعَلَنْ أحدًا عليك إذا أحببتَه وهَوِيتَه رَبًّا
وصِلِ الحبيبَ إذا شُغِفْتَ واطوِ الزيارةَ دونَه غِبًّا
فلَذَاكَ أحسنُ من مُوَاظَبةٍ ليستْ تَزِيدُكَ عنده قُرْبَا
لا بل يَمَلّكَ عند دَعْوته فيقولُ هَاهِ وطَالمَا لبَّى

ونقدت الثريّا بنت عليّ بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر معشوقة عمر بن أبي ربيعة شعره الذي وصف به جمال شريكتها في حبّه رملة بنت عبدالله بن خلف الخزاعيّة، وكان عمر يهواها كذلك حيث قال فيها (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 387،386، 398):

وجَلا بُرْدها وقد حَسَرتْه نُورَ بدرٍ يُضيء للناظرينَا
أصْبَحَ القلبُ في الحِبالِ رَهِينًا مُقْصَدًا يومَ فارَقَ الظَّاعِنِينَا
قلتُ مَنْ أنتُمُ فصَدَّتْ وقالتْ أُمُّ عمرٍو سؤالَك العَالَمِينَا
نحن من ساكني العِرَاق وكُنَّا قبلَه قاطنين مكةَ حِينَا
قد صَدَقْنَاكَ إذ سألتَ فمن أنتَ عسى أن يَجُرّ شأنٌ شُؤونا

فنقدته الثريّا في شعره هذا: "بالكذب والوقاحة والتصنّع وقبّحت شعره هذا" (الأصبهاني، د.ت، ج1 ص ص216-220)، وهذه مقولات نقديّة ذات أبعاد أخلاقيّة تتنافى والصدق والحياء والطبع ومن ثَمَّ جودة الشعر وحسنه في تقدير الناقدة، فقد وصف عمر بالجميل ما لا تراه الناقدة جميلا، وتظاهر بقول الحقّ في وصفه وترى الناقدة أنّه بعيد كل البعد عن الصدق في وصفه، ولذلك قالت ناقدة له: "ما أكذبه! أو تُرفع حسناء بصفته لها بعد رملة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص220)، تقصد بعد شعره هذا في رملة، لأنّه شعرٌ في تقديرها خارج عن قيم الصدق والحقيقة، لأنّه يحمل القبح، وكأنّها ترى أنّه لا خير في شعر، ولا جمال فيه إن خالف الصدق وقيمه الأخلاقيّة، والثريّا في تقديري لا يؤخذ بقولها في نقدها لوصف عمر بن أبي ربيعة لرملة الخزاعيّة لغيرتها منها، فكلتاهما من معشوقات عمر، وكلتاهما تغزّل فيهما عمر بشعره، والثريّا عندما أطلقت هذا النقد لشعر عمر، المتكئ على الجوانب الخُلقيّة كانت غضبى من عمر لمّا بلغها من هذا الشعر، فجاء نقدها متأثّرًا بموقفها من عمر ومن تغزّله برملة.

وإذا كانت الثريّا قد نقدت عمر بالكذب في شعره، وبالوقاحة والتصنّع فيه، وبمخادعته للنساء بشعره، فإنّ هذا يدلّنا على أن النقد الأخلاقيّ كان يمثّل اتّجاهًا مهمًّا من اتّجاهات النقد النسائيّ العربيّ القديم، وإن كانت هذه المقاييس النقديّة الأخلاقيّة النابعة من الثريّا في موقفها النقديّ هذا من عمر خالطتها الغيرة من رملة، والأهواء الذاتيّة المتمثّلة في رغبة الناقدة في الكشف عن كذب الشاعر، وزيفه، وتملّقه للأنثى، وحرصه على الإيقاع بها، ولتقول أن شعر عمر هذا في رملة ليس فيه من الجمال ما يمكن أن يظهر عليه بعد أن أحاله -بما فيه من زيف وخداع- إلى شراك قاتلة ينصبها للمخدوعات فيه، وهي إنما تريد أن تحطّ من شعره، وتُذهب ما يُظنّ فيه من جمال بسبب تجاوزه للقيم الأخلاقيّة، لتحطّ من وصفه لجمال رملة منافستها في حبه لها، جاعلة من القيم الأخلاقيّة مقياسًا نقديًّا ذا قيمة فنيّة وحكميّة للشعر.

ونقدت ليلى بنت الحارث البكريّة شعر عمر بن أبي ربيعة نقدًا أخلاقيًّا نابعًا من الدين الإسلاميّ وانتهاكه لأوامره ونواهيه، فقد رأت في شعر عمر دعوة إلى تجاوز حدود الله في علاقة الرجل بالمرأة الأجنبيّة عنه عندما خاطبها بقوله (ابن أبي ربيعة، 1416ه، ص 399):

ألاَ يا لَيْلُ إنّ شِفَاءَ نفسي نَوَالُكِ إن بَخِلتِ فَنَوِّلِينَا
وقد حضر الرَّحِيلُ وحان منّا فِرَاقُكِ فانْظَرِي ما تأمُرِينَا

فقالت له: "آمرك بتقوى الله وإيثار طاعته وترك ما أنت عليه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص ص157، 256)، وفي رواية أنها قالت له: "حتى متى لا تزال سادرًا في حرم الله، تشبّب بالنساء وتشيد بذكرهنّ، أمّا تخاف الله؟!"، وكأنّها رأت في شعره هذا مخالفةً لتقوى الله وانحرافًا عن طاعته، وأنّ قوله هذا فيه من الفحش والمنكر ما يقتضي منها نقده نقدًا تنصحه فيه بالبعد عن كل ما يخالف الدين والخلق الفاضل، لقد آلم هذه الناقدة العربيّة المتأثّرة بقيم الدين والفضيلة أن تسمع من عمر مثل هذا القول الخارج عن قيم الدين والأخلاق التي كانت تألفها وتتحلّى بها؛ بل وحطّت من جودة شعره بهذا المقياس النقديّ الأخلاقيّ، وما يقتضيه من حكم على القول الشعريّ ارتضته الناقدة حكمًا فنيًّا يحاكم به الشعر؛ لذلك واجهت شعريّة عمر بهذا النقد الداعي إلى الأهداف الفاضلة وطاعة الله والخوف منه، وتقواه، والبعد عن ما يغضبه جل وعلا من عبده، وبأن لا يقول الشاعر إلا في الخير، ولا ينطق إلا بالحقّ، ولا يفعل من القول والعمل إلا ما يرضى عنه الله، وكأنّ الناقدة ترى

أن لا خير ولا جودة في شعر يخالف الخلق والدين، وأن فحش المعنى ومخالفته لقيم الدين يحطّان من جماله الفنيّ وميل النفوس له.

ونقدت ميٌّ ذا الرمّة نقدًا نابعًا من الحسّ الدينيّ، وما يدعو له الدين من قيم فاضلة، وأخلاق صادقة وحسنة، في قوله (ذو الرمّة، 1402ه، ص 833):

وَقد حَلَفتْ باللهِ مَيّةَ مَا أقُولُ لهَا إلاّ الّذي أنَا كَاذِبُه
إذَا فَرّمَاني اللهُ مِنْ حَيثُ لا وَلا زَالَ في دَارِي عَدُوٌّ أُحَارِبُه

فقالت له: "خف عواقب الله يا غيلان" (القارئ، د. ت، ج2 ص186-188)، فجعلت من قوله هذا ما يعادل انتهاكه لحدود الله ولقيم الصدق؛ ولذلك ذكّرته - أمام هذا القول الشعريّ- وحذّرته من عواقب الله، وخشيت عليه من غضبه تعالى، وهذا يدلّ على أنها تحبّه، ولا تودّ له ما يسبّب له العنت من الحياة، وممّا يدلّ على حبّها له، وإشفاقها عليه من تجاوز ما هو دينيّ وأخلاقيّ في شعره؛ أنّها نادته باسمه "غيلان" وجهرت به وهي تواجهه بنقدها لشعره.

وتصف الخرقاء إحدى نساء بني عامر بن ربيعة شعر ذي الرمّة فيها وصفًا يحمل أحكامًا نقديّة ذات بُعد أخلاقيّ، فقد وصفت شعره بالرقّة والعذوبة ووصفته في شعره بالعفّة والإحسان فيه، وكانت تقول مفتخرة: أنا منسك من مناسك الحجّ، تشير لقوله فيها (ذو الرمّة، 1402ه، ص1913):

تمامُ الحجّ أن تقفَ المطايا على خرقاءَ واضعةِ اللثامِ

وكانت الخرقاء تحلّ فلجا، ويمرّ بها الحجّاج فتقعد لهم وتحادثهم وتهاديهم، فقالت في هذا الشعر فيها: "رحم الله ذا الرمّة فقد كان رقيق العشرة، عذب المنطق، حسن الوصف، عفيف الطرف" (الأغاني، د.ت، ج18 ص37)، إنَّ هذه المقولات النقديّة، التي وصفت بها الناقدة الخرقاء شعر ذي الرمّة وقوله فيها لصادرة من مكامن نقديّة تجوّد الشعر الأخلاقيّ وتحسّنه وتحكم له بالجمال؛ لما يحمل من أبعاد خُلقيّة قائمة على ما فيه من حسن الخلق والعفّة وحلاوة المنطق.

كما استحسنت الخرقاء شعر القحيف العقيليّ فيها الذي يقول فيه (الأغاني، د.ت، ج18 ص37):

وخرقاءُ لا تزدادُ إلا ولو عُمّرتْ تعمير نوحٍ ملاحةً

فقد حسّنت الخرقاء هذا الشعر للقحيف العقيليّ فيها؛ لما يحمل من وصف لها بالملاحة، وهي صفة تفيض بالجمال الأخلاقيّ في الشخص المتلبّس بها؛ ولذلك فإنّ استحسانها لشعر القحيف العقيليّ هذا فيها نابع من البعد الأخلاقيّ الذي يحمله ويفيض به من خلال لفظة الملاحة التي وصفها بها، وأكبر الظنّ أنّ هذا النقد الأخلاقيّ من الخرقاء لكلٍّ من ذي الرمّة والقحيف العقيليّ متأثّر بحضور المقدّس في وصف الشاعرين لها، وهما: "منسك الحجّ، ونبوة نوح _عليه السلام_"، فقد كان للوصف الذي امتدحته من الشاعرين في حقّها نصيب من ذينك التشبيهين المقدّسين، فاقتضى أن يكون نقد المرأة لشعر الرجل هنا بالحكم له بالإحسان والعفّة.

وممّا ينبغي الإشارة إليه في حكمها النقديّ لقول الشاعر القحيف العقيليّ فيها هو أن الناقدة قد غضّت الطرف في حكمها عن إشارة الشاعر إلى عمرها الطاعن في السنّ لأنه قد شهد لها مع كبر سنّها وتقدّمها في العمر ببقاء مظاهر الملاحة باديةً عليها، والمرأة في الغالب لا تحبّذ أن يشار إلى تقدّمها في العمر أو إلى كبر سنها، لكن الشاعر استطاع تلافي وصفه لها بالتقدّم في العمر؛ بأن أثبت لها بقاء الملاحة على قسماتها، وبشرف تشبيه طول عمرها بعمر النبي نوح عليه السلام.

وتحضر المفردات الخلقيّة في نقد عائشة بنت طلحة للشاعر النميريّ، وتشكّل تلك المفردات النقديّة ذات المضامين الأخلاقيّة أحكامها النقديّة على شعره الواصف لزينب أخت الحجّاج وصويحباتها، حيث حمّل نقدها له قيم الصدق والعفّة والتديّن؛ لقوله فيها:

نزلنَ بفَخٍّ ثم رُحْنَ عشيّة يُلَبّين للرحمن مُعْتَمِرات
ويخبّئن أطرافَ الأكُفِّ من التُّقَى ويخرجن شَطْرَ الليل مُعْتجِرات
ولَمّا رأت رَكْبَ النميريّ وكْنَّ مِن أنْ يَلْقَيْنَه حَذِرات
تَضَوّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمَانَ إذ تَضَوّعَ مِسكًا بطنُ نَعْمَانَ إذ به زينب في نِسوة خَفِرات مَشَتْ

فقالت عائشة مصدرة حكمها النقديّ المثقل بالقيم الخلقيّة: "والله ما قلت إلا جميلا، ولا وصفت إلا كرمًا وطيبا، وتقًى ودينا" (الأغاني، د.ت، ج11 ص ص190-191)، فحكمت له -كما تقول فاطمة صغير- بالبراعة والإجادة؛ لأنّه قال كلامًا جميلا يكشف عن تديّن أخت الحجّاج وتقواها، مراعيًا فيه حرمة وقداسة المكان الذي تواجدت فيه (صغير، 2014م، ص 388)، فقد لاحظت عائشة بنت طلحة في نقدها هذا أحقّية زينب وصويحباتها بوصف النميريّ لهنّ بهذا الفضل والإحسان المستندين على الدين والأخلاق، لكن السؤال هنا الذي يحضر أمام هذا المنحى النقديّ الأخلاقيّ، القائم على تحلّي الموصوفات بالتديّن هو: هل يقتضي حكم الناقدة للشاعر بهذا الحكم جودة شعره هذا أم بعدم جودته؟

وبعيدًا عن صلاح المضمون النقديّ وأخلاقيّته، فإن هذا النقد من الناقدة عائشة بنت طلحة للنميريّ لم يتناول الحكم للشاعر بالجودة أو الرداءة في وصفه، فقد وقف عند ملاحظة صدقه في إبراز تقوى الممدوحات وتديّنهنّ؛ ولذلك فإنّه لا يرقى إلى أن يتّصف بالغزل فيهنّ؛ لذا عدلت الناقدة عن محاكمة الشعر محاكمة فنيّة، تتناول قيمه الجماليّة والعاطفيّة إلى الشهادة لصدق مضامينه، وتقريره لقيم الدين والأخلاق التي تتلبّس الممدوحات، ومن ثمّ فإن الناقدة عائشة بنت طلحة قد تحاشت في حكمها أن تتدخّل في الحكم الفنيّ الواصف لمقدار ما تحمله الأبيات من عاطفة للشاعر تجاه زينب وصويحباتها، ولا ما يحمله من حبٍّ وعشق لزينب، ولقد أدرك الشاعر النميريّ أن عائشة قد غمطته - في نقدها له - جمال غزله بزينب، وتغزّله فيها تغزّل المحبّ العاشق، عندما وقفت في مقولاتها النقديّة عند أحكامها الدينيّة والأخلاقيّة، التي تقرّر التديّن وحسن الخلق أكثر من كونها تقيس مقدار الحبّ والعشق والعاطفة التي عبّر عنها الشاعر تجاه محبوبته، ويدلّ على ما ذهبنا إليه ما رواه الأصبهانيّ في أغانيه ضمن روايته لنقد عائشة بنت طلحة هذا بأن النميريّ تعرّض لعائشة في الجمعة

التالية لهذه الحادثة النقديّة التي حكمت فيها على شعره في زينب، فعرض عليها أن ينشدها من قول الحارث بن خالد المخزوميّ فيها هي، فقالت: إنّه أراد أن يستقدّ أي (يقتصّ) منها لابنة عمّه تقصد نقدها لشعره في زينب؛ لأنّها وقفت في وصفها له عند الجوانب الدينيّة الأخلاقيّة ولم تتجاوزه إلى وصف جماليّات غزله، فوصفت شعره بما يحكم عليه بأحكام نقديّة تصفه بالدينيّ الأخلاقيّ، وليس بالغزل العاطفيّ العاشق الولهان، ولأنّ النميريّ أنشدها شعر خالد فيها - بعد أن تزوّجت رجلًا غيره ورحلت معه - فذكر خالد أنّها لم تكن من نصيبه ووصف جمالها وحسنها ونسبها دون أن يصوّر ما كان بينهما من حبٍّ وعشق وولهٍ، حيث قال فيها:

ظعَن الأميرُ بأحسنِ الخَلْقِ وغَدَوْا بُلبّكَ مَطْلَعَ الشّرْقِ

وتَئُوءُ ثُقْلِها عَجيزتُها نَهْضَ الضعيفِ ينوء بالعُسْقِ

ما صَبَّحتْ زوجًا بطلْعتها إلاّ غَدَا بكواكب الطّلْقِ

قُرَشيَّةٌ عَبِقَ العبيرُ بها عَبَقَ الِرهانِ بجانب الحُقِّ

بيضاءُ من تيمٍ كَلِفْتُ بها هذا الجنون وليس بالعشق

فقالت له: "والله ما ذكر إلا جميلا، ذكر أنّي إذا صبحت زوجًا بوجهي غدا بكواكب الطلق، وأنّي غدوت مع أمير تزوّجني إلى الشرق، ولا تعد لإتياننا يا نميريّ" (الأصبهانيّ، د.ت، ج11 ص191).

لقد أدركت الناقدة عائشة بنت طلحة أن النميريّ قد جعل من وصف الحارث المخزوميّ لها معادلًا لوصفه لزينب في حكمها النقديّ، ولذلك لم تتجاوز عائشة - وهي الناقدة البصيرة - في حكمها النقديّ لشعر الحارث فيها حكمها النقديّ لشعر النميريّ في زينب فقالت: "والله ما ذكر إلا جميلا"، واستعرضت وصف خالد الخلقيّ الصادق لها ولعلاقتها بزوجها، ولم تتعرّض لقدرة الشاعر الحارث على التعبير عن حبّه لها وعشقه وولهه بها في شعره.

ونقدت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان شعر عمر بن أبي ربيعة بـ "الفاضح" و"فاضح الحرائر" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص 144، 190) منكرة عليه الحديث عن مغامراته النسائيّة المجاهر فيها بالمعصية، فقد وجّهت هذا الحكم النقديّ إلى قوله:

قالت وعَيْشِ أخي ونعمةِ لأُنَبِّهنّ الحيَّ إن لم تَخْرُج

وقوله:

ونَاهِدَةِ الثّنْيَيْنِ قلتُ لها اتّكِي على الرملِ من جَبّانةٍ لم تَوَسَّدِ

وقد يمكننا توجيه نقد فاطمة لعمر بأنه ليس إنكارًا منها لمغامراته النسائيّة تلك، ولا لمجاهرته فيها بالمعاصي، بل إن فاطمة تنكر على عمر ضعف حبّه لمعشوقاته، وعدم حفظه لودّهن له، عندما يشهّر بهنّ في مغامراته تلك معهنّ، ولا يحفظ لهنّ أسرارهنّ معه في تلك المغامرات العشقيّة، فيهتك بها أخلاقهنّ، ويذيع الفاحشة فيهنّ في الوقت الذي كان يجب عليه الستر عليهنّ، وقد منحنه الحبَّ والودَّ والعشق، وخصصنه بتلك العلاقات العاطفيّة الحميميّة، وبذلك يتوجَّه نقد فاطمة لشعر عمر لمقدار إخلاص عمر في حبّه وعشقه لمحبوباته، اللاتي منحنه ثقتهنّ وحبهنّ، وليس للإنكار على أخلاقه تجاههنّ، ولا أخلاقهنّ تجاهه، ومما يجعلني أميل إلى هذا النحو ما رواه أبو الفرج الأصبهانيّ من أنّ الناقدة فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بعد أن وصفته بفاضح الحرائر- وكان قد تعرّض لها ليحدّثها وهي قافلة من حجّها - كانت قد قالت له: "لولا وشك الرحيل، وخوف الفوت، ومحبّتي لمناجاتك لأقصيتك، هاتِ الآن وكلّمني وحدّثني وأنشدني" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص 192) وأنَّ قولها لأقصيتك إنما هو بسبب عدم ستره على مغامراته مع محبوباته، وليس إنكارًا منها أو نقدًا منها لتلك المغامرات بسوء الخلق.

ونقدت امرأة اسمها كلابة (مولاة لثقيف كانت عند عبدالله بن القاسم الأمويّ العبليّ) شعر الشاعر العرجيّ نقدًا أخلاقيًّا منكرةً عليه ذكره للنساء، وتغزّله بهنّ غزلًا فيه من الجرأة ما تراه يحطّ من قيمة المرأة ومكانتها في المجتمع، فوصفت شعره بأنّه لا خير فيه لجرأته على نساء قريش (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص387-389).

والنعت بالخيريّة أو سلبها عن الشيء قيمة أخلاقيّة، لكن الناظر في عبارة كلابة النقديّة المقيّدة بالجرأة على نساء قريش توحي بتوجيه الناقدة لرؤيتها النقديّة ذات البعد الأخلاقيّ إلى شعر العرجيّ الواصف لنساء قريش دون غيرهنّ من الحرائر، وكأنّ الناقدة عظم عليها جرأة الشاعر العرجيّ على نساء قريش بغزله فيهنّ؛ لما ترى فيه من حطّ لتلك الطبقة الاجتماعيّة التي تبوّأت مكانة محترمة في المجتمع والدين، وانتهاك لحرماتهنّ وقيمتهنّ ومكانتهنّ، فالناقدة تصدر من خلق نابع ممّا تؤمن به في العرف والدين.

وفي رواية أنّها نقدته بقولها: "لشدّ ما اجترأ العرجيّ على نساء قريش حتى يذكرهنّ في شعره، لعمري ما لقي أحد فيه خير ولئن لقيته لأسودنّ وجهه" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص 149)، ووصفت شعر العرجيّ كذلك بالشرّ يلصق بالنساء (انظر: الأصبهانيّ، د.ت، ج1، ص149).

إن المعجم النقديّ وما يشي به من خطاب نقديّ أخلاقيّ لواضح وجليّ كما نلحظه في مقولات كلابة النقديّة، بل لقد طرحت في شيء من تلك المقولات النقديّة الحماس والتهديد للشاعر بتسويدها لوجهه إن هي التقت به، إنّ الناقدة هنا لم تحاكم عمر كشاعر يتفنّن في وصف وتصوير ما يراه، بل حاكمته من خلال مقدار اتّفاق ألفاظ شعره ومضامينه مع قيم وأخلاق المجتمع والدين.

ونبّهت جارية لعمر بن أبي ربيعة تسمّى البغوم عمر إلى كذبه في شعره، وتجاوزه للوقائع الحقيقيّة، بقولها له: "ما رأيت أكذب منك يا عمر، تزعم أنك بالجزل، وأنت في جنبذ محمّد بن مصعب، وتزعم أن السماء أخضلت ريطتك وليس في السماء قزعة" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1 ص166)، وكان عمر قد وصف سهرة ليليّة زعم أنّه قضاها مع بعض النسوة والجواري، في الجزل وهو موضع قرب مكة، وكانت البغوم حاضرة لتلك السهرة، ولم تكن "بالجزل" _كما يقول الشاعر_ بل في "جنبذ" وهو بناء كالقبة لمحمّد بن مصعب _كما تقول البغوم_، ولذلك رأت في قوله هذا كذبًا وميناً وشططًا في وصفه

لمكان تلك الليلة وجمالها بقوله (الأصبهانيّ، د.ت، ج1، ص166):

ولقد قلتُ ليلةَ الجَزْلِ لـمّا أخضلتْ رَيْطتي عليّ السماءُ

فلقد أنكرت عليه البغوم جموحَ خياله، وادّعاءه أنّه اجتمع بهنّ في موضع الجزل، وأن الليلة كانت ماطرة حتى أصابه وأصابهنّ بلل السماء، فردّ على إنكارها عليه وصفه ذلك وتكذيبها له بقوله: "هكذا يستقيم هذا الشأن" (الأصبهانيّ، د.ت، ج1، ص 166)، معترفًا بكذبه في شعره الواصف لتلك الليلة، وكأنّه يرى أن من طبيعة الشعر المبالغة، والإتاحة للخيال أن يشطح ويجمح عن الحقيقة؛ ليبلغ بالشعر جماله ونشوته وتأثيره في السامع له، ولو تجاوز به الحق والصدق، لكن الناقدة البغوم حاكمت شعر عمر بمنطق القيم الأخلاقيّة القائمة على الصدق وتحرّي الحقيقة في القول، وكأنّها ترى أن الكذب ومخالفة الشعر للحقيقة تحطّ من قيمته وتأثيره الفنيّ، وأكبر الظنّ أن وراء هذا النقد القائم على المقياس الأخلاقيّ غيرة من الناقدة "البغوم" - وهي إحدى معشوقات عمر - على عمر، وعتابًا له أن جمع في غزلها بينها وبين جارية أخرى اسمها (أسماء) في القول الشعريّ الذي نقدته فيه (الأصبهانيّ، د.ت، ج1، ص 166):

حَبَّذَا أنتِ يا بَغُومُ وأسماءُ وعِيصٌ يكنُّنا وخَلاَءُ

ولذلك أردفت نقدها له بالكذب فيما ادّعاه من صفات تلك الليلة، باعتبار أن الكذب وادّعاء غير الحقيقة في الشعر يحطّ من شأنه فنيّا، ويقلّل من قبول المتلقّين له، وأنّ على الشاعر _حتى ينال رضا السامعين_ أن يقول في شعره ما يوافق الصدق والحقّ، ويبعده عن الادّعاء والزعم والكذب، وتزوير الواقع وتزييفه، لكن عمر ردّ عليها بأن هذا هو طريق الشعر وسبيله _يقصد المبالغة في القول حتى يكون شعرا_ إذ يستشرف ما يتطلّع له الشاعر من التجويد والجمال.

ونقدت سُكينة بنت الحسين _رضي الله عنه_ أنانيّة الشاعر كثيّر عزّة عندما وهب محبوبته (سعدى) الغيث، وماءه، ونباته، وقصر خيره ونفعه عليها دون سواها من عباد الله، ورأت في ذلك إيثارًا لها دون غيرها بعطاء الله الذي يعمّ به عباده، فالخير من شأنه أن يعمّم به الله عباده، فأنكرت عليه قوله:

أشاقَك برقٌ آخرَ الليلِ واصبُ تضمّنَهُ فرشُ الجبا فالمسارِبُ

تألّقَ واحمومى وخيّمَ أصمُّ الذرى ذو هيدبٍ متراكبُ

إذا ما زعزعتْهُ الريحُ أرزمَ بلا خُلفٍ منه وأومضَ جانبُ

وهبتُ لسُعدى ماءَه ونباتَه كما كلَّ ذي ودٍّ لمن ودَّ واهبُ

لتروي به سُعدى ويروى ويُغدقُ أعدادٌ لها ومشاربُ صعابُ

فقالت له سُكينة مُنكرة عليه هذا التخصيص المخالف للخلق الفاضل الذي يهب الخير للجميع، والمؤثر غيره في المنافع: "أتهب غيثًا عامًّا جعلك الله والناس فيه سواء؟! فقال: يا بنت رسول الله ﷺ- وصفت غيثًا فأحسنته وأمطرته وأنبته، وأكملته، ثم وهبته، فقالت: فهلّا وهبت لها دنانير ودراهم؟" (انظر: المرزبانيّ، 1995م، ص189؛ وابن قتيبة، 1958م، ص620).

لقد كان نقد سُكينة لكثيّر نقدًا أخلاقيًّا نابعًا من رؤيتها أن الشاعر تلبّس في قوله هذا خلق الأنانيّة، والبعد عن حب الخير للآخرين، وإيثاره لمحبوبته دون سواها من عباد الله، وهو نقد يقوم على أساس من أن الشاعر قد ضيّق واسعا، وآثر محبوبته برزق الله الذي يسعها ويسع سواها من عباده، وفي هذا ما فيه من الأنانيّة والاستئثار بالتصرّف في حقّ عامّ، وهذا لا ينسجم والأخلاق التي أرساها الدين الإسلاميّ وحثَّ عليها، القائمة على إشراك الغير في الخير، بل وإيثارهم على النفس كما في قوله تعالى: چ ئې ئې ئى ئى ی ی ی ی ئج (القرآن الكريم، سورة الحشر، الآية: 9)، لكن الناظر في قول كثيّر: "وصفت غيثًا فأحسنته وأمطرته وأنبته وأكملته، ثم وهبته" (المرزبانيّ، 1995، ص189؛ وابن قتيبة، 1958م، ص620) يدلّ على أن الشاعر يفرّق بين ما هو حقيقة وهو الغيث الآتي من الله، وما هو خيال وهو ما يتصوّره الشاعر لمحبوبته من غيث في خياله ويتمنّاه ليهبه لمحبوبته، وأن الشاعر قد وهب محبوبته ما يمتلك من صورة خياليّة بناها هو للغيث، وصنعها وتمنّاها لمحبوبته، وأنّه لم يتجاوزها لخلق الله وعطائه، ومن ثمّ لم يتجاوز الخلق الفاضل في هبته، وكثيّر يتّسم في غزله بمجموعة من القيم الأخلاقيّة التي أحاطها به، كما يشير إلى هذا إحسان عباس (انظر: الخزاعيّ، 2012م، ص65؛ وعبّاس، 2001، ج3 ص120)، ولذلك نرى الناقدة القديرة سُكينة بنت الحسين قد واجهت غزل كثيّر الأخلاقيّ بنقدها الأخلاقيّ كذلك.

أما الناقدة زُبيدة بنت جعفر فقد جمعت في نقدها لأحد الشعراء بين الأخلاق والحلم، والاعتذار عن قصور الشاعر في شعره، وإعانتها له على تحسين شعره وتجويده، وقد عبّرت في نقدها للشعر عن رؤيتها النقديّة الساعية فيها إلى إتاحة الفرصة للشاعر الضعيف أن يجوّد شعره ويحسّنه بما التمست للشاعر من العذر، وبيّنت بمقولاتها النقديّة له طرائق إصلاح شعره، فقد روي أن أحد الشعراء جاء إليها مادحًا لها بقوله فيها:

أزُبيدةَ ابنةَ جعفرٍ طوبى لسائِلِك المثاب

تُعطين من رجليكِ ما تعطى الأكفّ من الرغاب

فهمَّ به الحشم، ووثبوا يريدون أن يضربوه، فقالت لهم زبيدة: لا تفعلوا - ومنعتهم من ذلك - فإنّه أراد الخير فأخطأ، ومن أراد الخير فأخطأ أحبّ إلينا ممن أراد الشر فأصاب، وإنما أراد أن يقول على قول الشاعر:

شمالك أجود من يمين وقفاك أحسن من وجه غيرك

فظنَّ أنه إذا ذكر الرجلين أنه أبلغ في المدح، وأقرّت له بجائزة، وفي رواية أنها قالت: "أعطوه ما أمّل وعرّفوه ما جهل" (المرزبانيّ، 1995، ص 415؛ والأفطس، 2005م، ص115-116؛ والحصريّ، 1972م)، وقد علّق أبو نوّاس الشاعر على نقد زُبيدة هذا بحسن وخلق نقدها لشاعرها وبحلمها وصبرها وقوّة تجلّدها على وصفه لها فقال: "لقد ورد عليها شيء لو ورد على العبّاس بن عبد المطّلب ما كان عنده من الحلم

والاحتمال وتسهيل الأمر أكثر ممّا كان عندها" (الأفطس، 2005م، ص 115-116).

لقد جمعت زُبيدة في نقدها بين النقد الأخلاقيّ، والحلم في التعامل مع ضعف الشاعر، وسوء مدحه لها، كما أنها قد حاولت إصلاح شعره وسعت إلى أن تدلّه على كيفيّة تحسين شعره وتجويده عندما اعتذرت له بأنه أراد تقليد من سبقه من الشعراء في أسلوب المدح فأخطأ ولم يصب، وذلك بقولها لحشمها: عرّفوه ما جهل.

ومهما يكن من شأن نقد المرأة العربية القديم في اتجاهه الأخلاقيّ؛ فإننا نلحظ أنّ هذا النقد كان نابعًا من طبيعة المرأة في علاقتها بالرجل وموقفها منه، مراعية طبيعة علاقتها بمجتمعها وتنشئتها النشأة التي نشأت عليها في مجتمعها العربيّ والإسلاميّ؛ مما كان له انعكاسه على نقدها للشعر، وخصوصًا منه ذلك الشعر الواصف لها، وقد كان نقدها الأخلاقيّ نقدًا موجّهًا للمضمون الشعريّ في أغلبه وليس موجّهًا لشكله الفنيّ، وأنّ المحرّك له هي مضامين الشعر وليست أشكاله الفنيّة، فهو نقد يلحظ مقدار اتّفاق المضمون الشعريّ وانسجامه مع القيم الخلقيّة والدينيّة أو اختلافه معها، وهو نقد في تقديري لا يحطّ من جمال التعبير الشعريّ ودهشته بقدر ما يعبّر عن طبيعة الذات الأنثويّة المنتجة له التي تودّه ملتحمًا بالعرف المجتمعيّ والقيم الأخلاقيّة التي يحترمها الذوق المجتمعيّ ويجلّها فيما له علاقة بالمرأة، لكنّ الشاعر القويّ - في تقدير الناقدة العربيّة - هو من يستطيع الجمع بين الحقّ والخلق الفاضل ودهشة الشعر وجماله وتأثيره في النفوس، وعندئذٍ تظهر ميزة هذا الاتّجاه النقديّ الذي أنتجته الناقدة العربيّة اتّجاه شعر الشاعر وقوة شاعريّته على من سواه ممّن لا يستطيع حمل جمال شعره على قوالب لغته الشعريّة الشارقة بالقيم الأخلاقيّة الفاضلة، والمثقلة بقيم الخير والحقّ والجمال.

الخاتمة

إنَّ الناظر في المشكلة التي نهض البحث من أجلها، وفي الفرضيّة التي تصوّرها الباحث لمقاربة تلك المشكلة ليدركُ أن البحث اتّجه - من خلال نصوصه ومدوّناته التي تضمّنت النقد الأخلاقيّ النسائيّ الذي توجّهت به المرأة العربيّة للشعر العربيّ القديم - لتوضيح تلك المشكلة البحثيّة ومقاربة فرضيّتها بما نجم عنه من نتائج ومرئيّات من أهمها:

1- أن النقد الأخلاقيّ قد كان اتّجاهًا أصيلًا من اتّجاهات نقد المرأة العربيّة للشعر العربيّ في القرون الثلاثة الأولى من عمر النقد العربيّ القديم.
2- أن الاتجاه النقديّ الأخلاقيّ في نقد المرأة العربيّة جاء معبرًا عن طبيعة المرأة العربيّة التربويّة الأخلاقيّة سواء في حياتها العربيّة الجاهليّة أو في حياتها بعد الإسلام.
3- أن النقد النسائيّ الخلقيّ العربيّ للشعر قد كان نابعًا من طبيعتها الأنوثيّة المتّصفة بالحياء والحشمة والتمنّع في حضرة الرجل وعلاقتها معه.
4- أن الاتّجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ للشعر العربيّ القديم قد لحقه التطوّر من بداياته في العصر الجاهليّ حتى ازدهاره بعد الإسلام، الذي عزّز من أخلاقيّات المرأة التي كانت عليها في الجاهليّة، وجعلها أكثر قربًا والتزامًا بالفاضل والجميل من الأخلاق الإسلاميّة، بمعنى أن النقد الأخلاقيّ النسائيّ للشعر العربيّ قد تأثّر بأوامر الإسلام ونواهيه، وتأكيده للجميل والفاضل من الأخلاق العربيّة الأصيلة.
5- أن الاتّجاه النقديّ الخلقيّ النسائيّ للشعر العربيّ كان نقدًا يقف عند مضامين الشعر ومعانيه ويحاكمها، أكثر من وقوفه عند الشكل الشعريّ والاهتمام به، بمعنى أنه نقد أقرب للنقد المضمونيّ منه إلى نقد بنية الشعر وأشكاله الفنيّة.
6- أن نقد المرأة الأخلاقيّ للشعر القديم قد قام في أغلبه على قيمتي الصدق والكذب في علاقة الشعراء بالمرأة ووصفهم لها ووصف علاقتهم بها، وقام على تصوير الشعراء الفحش بالمرأة وانتهاكهم لعوراتها وفضح أسرار علاقاتها بهم، ممّا يخالف قيم الدين وعادات وتقاليد المجتمع العربي الإسلامي.
7- أن الاتّجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ كان يحطّ من مكانة الشاعر الفنيّة وقدراته في القول الشعريّ بقدر ما كان يأخذ عليه من تجاوزات دينيّة أو أخلاقيّة.
8- أن الاتّجاه النقديّ النسائيّ الأخلاقيّ كان يتّجه نحو وصف علاقات الشاعر بالمرأة ووصف صورتها في شعره، دون وصف الشاعر لجمال المرأة والصفات التي تحبّب الرجل فيها، وذلك لأن منطلق هذا النقد هو القيم الدينيّة والأعراف الاجتماعيّة دون جماليات الشعر ومقاييسه الفنيّة.
9-أن الذوات النسائيّة الناقدة للشعراء نقدًا أخلاقيًّا كنّ يصدرن عن مفهوم للشعر مؤدّاه أن جمال الشعر نابع من انسجامه مع تعاليم الدين والأخلاق الفاضلة وعادات المجتمع وتقاليده.
10- سيطرة الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ على نقد المرأة للشعر ينسجم مع طبيعتها الأنوثيّة والمفاهيم الحاكمة لعلاقتها بالرجل والمجتمع.
11- أن مجهودات المرأة العربيّة الناقدة للشعر العربيّ كان لها أثرها في بروز هذا الاتّجاه النقديّ الأخلاقيّ في النقد العربيّ القديم.

المراجع

القرآن الكريم.
إسماعيل (1974م)، عزّ الدين (ت 1428هـ-2007م)، الأسس الجماليّة في النقد العربيّ، ط3، دار الفكر العربيّ.
الأصبهانيّ (د.ت)، عليّ بن الحسين (ت 356هـ)، الأغاني، د. ط، بيروت، دار إحياء التراث العربيّ (مصوّرة عن دار الكتب).

الأفطس (1425هـ-2005م)، محمد بن هبة الله الحسينيّ (ت520هـ- 1126م)، المجموع اللفيف، تحقيق: يحيى الجبوريّ، ط1، دار الغرب الإسلاميّ.
أمين (2012م)، أحمد (ت1373هـ- 1954م)، النقد الأدبيّ، د. ط، القاهرة، مؤسسة هنداويّ للتعليم والثقافة.
الجرجانيّ (د.ت)، علي بن عبد العزيز (ت392هـ-1001م)، الوساطة بين المتنبيّ وخصومه، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاويّ، د. ط، بيروت، دار القلم.
ابن جعفر (د.ت)، قدامة، نقد الشعر (ت337هـ-948م)، تحقيق: محمد عبد المنعم، خفاجي، د.ط، بيروت، دار الكتب العلميّة.
الحارثيّ (1409هـ-1989م)، محمد المريسيّ، الاتّجاه الأخلاقيّ في النقد العربيّ حتى نهاية القرن السابع الهجريّ، د. ط، مطبوعات نادي مكة الثقافيّ الأدبيّ (الكتاب64).
الحصريّ (1972م)، إبراهيم بن عليّ (ت 488هـ-1095م)، زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق وشرح: زكي مبارك ومحمد محيي الدين عبد الحميد، ط4، بيروت، دار الجبل.
الخزاعيّ (1971م) كثيّر بن عبد الرحمن (ت 105هـ-723م) ديوانه، تحقيق: إحسان عبّاس، (د.ط) دار الثقافة، بيروت.
ذو الرمّة (1402ه-1982م) غيلان بن عقبة (117ه-735م)، ديوانه (شرح أبي نصر الباهليّ)، تحقيق: عبد القدوس أبو صالح، (د.ط) مؤسسة الإيمان.
ابن أبي ربيعة (1416هـ-1996م) عمر بن عبد الله (ت 93هـ-712م)، ديوانه، تحقيق: فايز محمد، ط2، دار الكتاب العربيّ، بيروت.
صغير (2014م)، فاطمة، جهود المرأة العربيّة في النقد الأدبيّ القديم، مجلّة المخبر، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد (10).
ابن طباطبا العلويّ (1405هـ -1985م)، محمد بن أحمد (ت 322هـ- 934م)، عيار الشعر، تحقيق: عبد العزيز المانع، د. ط، الرياض، دار العلوم للطباعة والنشر.
عبّاس (2001م)، إحسان (ت 1424هـ-2003م)، محاورات في النقد والدراسات الأدبيّة، ط1، بيروت، دار الغرب الإسلاميّ.
العزب (1404هـ-1984م)، محمد أحمد، قضايا نقد الشعر في التراث العربيّ، د. ط، د. م.
العسكريّ (1371هـ-1952م)، أبو هلال الحسن بن عبد ربّه (ت 395هـ- 1005م)، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاويّ ومحمد أبو الفضل إبراهيم، ط1، عيسى بابي الحلبيّ، دار إحياء التراث العربيّ.
القارئ (د.ت)، جعفر بن أحمد السراج (ت 500هـ-1016م)، مصارع العشّاق، د. ط، بيروت، دار صادر.
ابن قتيبة (1377هـ-1985م)، عبد الله بن مسلم (ت 276هـ- 889م)، الشعر والشعراء، تحقيق: أحمد محمد شاكر، ط2، القاهرة، دار المعارف.
القرطبيّ (د.ت)، محمد بن أحمد (ت 671هـ-1273م)، الجامع لأحكام القرآن، د. ط، القاهرة، مطبعة دار الكتب.
القيروانيّ (1403هـ-1983م)، الحسن بن رشيق (ت 463هـ- 1071م)، العمدة في صناعة الشعر ونقده، تحقيق: مفيد قميحة، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.
المرزبانيّ (1415هـ-1995م)، محمد بن عمران (ت 384هـ- 994م)، الموشّح في مآخذ العلماء على الشعراء، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، ط1، بيروت، دار الكتب العلميّة.